المجلد: (14) العدد: (01) السنة: 2022 صفحات المقال: 208-221 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

تطورات الدراسات ما بعد الكولونيالية
قراءة في فكر "حميد دباشي" من خلال كتابي
"ما بعد الاستشراق" و "هل يستطيع غير الأوروبي التفكير؟"

Postcolonial studies developments
A reading of Hamid Dabashi's thought through the books "Post-Orientalism" and "Can a Non-European Think?"

صراح سكينة تلمساني
المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة – الجزائر
tlemsanisarah.sakina@ensb.dz

تاريخ الإرسال: 2021/12/06 تاريخ القبول: 2022/03/24 تاريخ النشر: 2022/05/15

الملخص:

ظهرت الدراسات ما بعد الكولونيالية ردا على هيمنة الإمبريالية وإدانةً للاستعمار الغربي من خلال تبني وسائل ثقافية وفكرية مختلفة. لقد تبناها عدد من المفكرين الذين تباينت مرجعياتهم الفكرية إلا أنها اتفقت على إدانة الخطاب الكولونيالي، وتقويض مقولاته الأساسية. مرتّ هذه الدراسات بتطورات بداية من مرحلة الريادة وهي ما يعرف بمرحلة مناهضة الاستعمار وصولا إلى مرحلة التأسيس التي اكتسبت طابعا أكاديميا واستندت إلى خلفية فكرية وفلسفية. وقد تطورت الدراسات ما بعد الكولونيالية؛ إذ تعد اليوم من المجالات الهامة فهي تعالج قضايا مثل الهوية والآخرية، والانتماء وأدب المنفى والهجرة. ارتبط تطورها بمفكرين عملوا على انتقاد المنظومة المعرفية الغربية، وتقويض الخطاب الكولونيالي.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إنجاز قراءة في المشروع الفكري لعلم من أعلام النظرية ما بعد الكولونيالية المعاصرين وهو "حميد دباشي" الذي قمنا بعرض أهم مقولاته ومناقشتها من خلال كتابين هامين له، وهما: "ما بعد الاستشراق: المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب" و "هل يستطيع غير الأوربي التفكير؟".

الكلمات المفتاحية:

الدراسات ما بعد الكولونيالية، النظرية ما بعد الكولونيالية، الدراسات الثقافية، حميد دباشي، ما بعد الاستشراق

المجلد: (14) العدد: (01) السنة: 2022 صفحات المقال: 208-221 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

Abstract:

Postcolonial studies emerged in response to the domination of imperialism and a condemnation of Western colonialism by adopting various cultural and intellectual means. It was adopted by a number of thinkers whose intellectual references varied, but they agreed to condemn the colonial discourse and undermine its basic categories. These studies underwent developments starting from the pioneering stage, which is what is known as the anti-colonial stage, to the foundation stage, which acquired an academic character and was based on an intellectual and philosophical background. Post-colonial studies have developed, as they are today considered one of the important fields, as they deal with issues such as identity, otherness, belonging, exile literature, and immigration.

This research paper aims to complete a reading of the intellectual project of one of the pioneers of contemporary postcolonial theory, which is "Hamid Dabashi", whose most important statements we have presented and discussed through two important books of his, namely: "Post-Orientalism: Knowledge and Power in a Time of Terror" and "Can The Non-European think ?

Keywords:
Postcolonial studies ;Postcolonial theory ;Cultural studies ;Hamid DAPASHI ; Postorientalism

1. مقدمة:

شهدت الساحة الفكرية الغربية في القرن العشرين ميلاد زخم هائل من المفاهيم الفلسفية والتيارات الفكرية، وأهم ما عرفته البيئة الغربية في هده الفترة ظهور الفكر ما بعد الكولونيالي الذي يُمثّل طريقة جديدة في التفكير تهدف إلى الرد على هيمنة الإمبريالية الغربية، وإدانة الاستعمار من خلال توظيف وسائل ثقافية وفكرية وسياسية مختلفة.

لقد عمل هذا الفكر على مواجهة الخطاب الغربي المتمركز حول ذات غربية متعالية، خاصة ما ارتبط بالخطاب الكولونيالي الذي ظهرت أطروحات النقد ما بعد الكولونيالي ناقضة ومُقَوّضة للمقولات الأساسية البانية له.

ستحاول دراستنا البحث في تطورات النظرية ما بعد الكولونيالية، والجديد الذي وصلت له بعد جهود مؤسّسيها الأوائل، محاولين التركيز على جهود المفكر الإيراني "حميد دباشي"Hamid DAPASHI الذي يُعدّ من أبرز النقاد ما بعد الكولونياليين اليوم، فما هي أهم الأفكار التي عالجها؟ ماهي أهم القضايا التي أثارها؟ وما مدى استفادته من آراء المنظّرين الأوائل للفكر ما بعد الكولونياليين، وهل تجاوز آراءهم؟

المجلد: (14) العدد: (01) السنة: 2022 صفحات المقال: 208-221 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

2. الدراسات ما بعد الكولونيالية: المفهوم ومجال الاشتغال:

وقبل أن نشرع في تقديم قراءة في أعمال "دباشي" ينبغي لنا أن نحدّد مفهوم الدراسات مابعد الكولونيالية ونوضّح مجالات اهتمامها.

ارتبطت الدراسات ما بعد الكولونيالية بإرادة تفكيك الخطاب المنتَج من قِبَل المستعمِر إزاء المستعمَر، بتبني استراتيجيات تعتمد على ترسانة من المفاهيم، والمقولات النقدية المُصَاغة من مفكرين، ونقاد، وفلاسفة، ينتمي معظمهم إلى العالم الثالث.

ويقوم حقل النظرية ما بعد الكولونيالية باعتباره جزءا من حقلٍ أوسع، هو حقل الدراسات الثقافية ، أو النظرية الثقافية على دعامة مفاهيمية تستند إلى فروع فكرية ومعرفية مختلفة مثل التاريخ، والأنثربولوجيا، والتحليل النفسي، وعلم الاجتماع، والنقد الأدبي.[1]

وقد ظهرت في سياقٍ من الصلة مع الدراسات الثقافية، باعتبارها مجالا للخوض فيما هو ثقافي في تحديد علاقة الأنا بالآخر، ومساءلة التجربة الكولونيالية كحادثة ثقافية بالأساس، وبهذا تظهر الدراسات ما بعد الكولونيالية كفرعٍ مهمّ من فروع الدراسات الثقافية التي برزت في الأوساط الغربية، وتحديدا في العالم الأنجلوفوني[2] منذ الستينيات من القرن العشرين، واكتست مكانة بارزة باعتبارها مجالا للبحث المتخصص.

تتقاطع مقولات دراسات ما بعد الكولونيالية، وتتداخل مع مجالات كثيرة من مجالات الدرس الثقافي والمقولات المُتَبَنّاة من قِبَل نقاد ما بعد الحداثة، من خلال عملها على نقد التراث المكرَّس، وتقويض النصوص المعتَمَدة في الفكر الغربي.

تحاول هذه الدراسات تقديم طرق جديدة لقراءة التراث الرسمي المعتمَد، وتشجّع على توسيع هذا التراث، وتفكيكه، وتسعى في الوقت ذاته إلى الاهتمام بالعلاقة بين الثقافة والسلطة، وتتحدى أشكال التراث الثقافي المعتمد، والحدود الفاصلة بين التخصصات المعرفية[3].

سعى المشتَغِلون في هذه الحقول الفكرية، والمعرفية، إلى تقويض الخطابات المُدَّعية للمركزية، في مراجعةٍ جذريةٍ أحيانا لمجمل المقولات التقليدية، وفي النصوص المعتمَدة عند الغرب.

المجلد: (14) العدد: (01) السنة: 2022 صفحات المقال: 208-221 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

لقد عرف الفكر ما بعد الكولونيالي تطورات بداية من مرحلة الريادة والإرهاصات التي ساهمت في ظهور الدراسات ما بعد الكولونيالية، وتشكيل خلفيتها مستندة على آراء عدد من المفكرين الراديكاليين الذين أحدثوا تغييرا جذريا في الأوساط الفكرية الغربية نظرا لآرائهم الرافضة للمركزية الغربية والمنتقدة لأطروحات الخطاب الكولونيالي.

هنا لا يمكننا الحديث عن هذه المرحلة دون الإشارة إلى مفكرين مثل: "فرانز فانون" Frantz FANON وألبير ميمي" Albert MEMMI و"ميشيل فوكو"Michel FOUCAULT و"جاك دريدا"Jacques DERRIDA؛ ف"فرانز فانون " من أبرز الأصوات المناهضة للاستعمار؛ فقد تجاوز "نقد الاستعمار إلى نقد الثقافة الكولونيالية التي ولّدت الحالة الاستعمارية، كما أنه تجاوز مرحلة وصف الحالة الكولونيالية إلى مرحلة تصفية الاستعمار.[4]

وإلى جانب "فانون" لا يمكننا إغفال جهود "ألبير ميمي" الذي سعى إلى مواجهة الاستلاب الثقافي والفكري الناتج عن الوجود الاستعماري من خلال أعماله المختلفة مثل: "صورة المستعمر" و"صورة المستعمَر"، و "الإنسان المهيمَن عليه"، وغيرها من الأعمال التي نجد فيها تحليلات تركز على ظاهرتي: الاستعمار والعنصرية من خلال مفهومين تطرق لهما وهما: "العنصرية الكولونيالية" و"الخوف من الآخَر المختلف".

كما لا يمكن تجاوز آراء المفكرين "ميشيل فوكو" و"جاك دريدا" لما لهما من حضور ومساهمة في تشكيل خلفية للفكر ما بعد الكولونيالي؛ ف"فوكو" سعى إلى الكشف عن مظاهر الإقصاء والتهميش في المجتمع الغربي، وتناول مفهوم "الخطاب" الذي أفادت منه الدراسات ما بعد الكولونيالية، كما أن "دريد ا" عُرَف بانتقاده للثنائيات التي قام عليها الفكر الغربي الماورائي، واعتماده إستراتيجية التفكيك باعتبارها نقدا للمركزية الغربية.

تظافرت هذه المقولات وأدّت إلى تحول الفكر ما بعد الكولونيالي الذي كان مجرد إرهاصات إلى طابع تأسيس أكاديمي، وقد كان هذا مع جهود كلّ من "إدوارد سعيد" Edward SAID و"هومي بابا" Homi BHABHA و"غياتري سبيفاك" Gayatri SPIVAK ، أو ما يُعرف بالثالوث المقدس للنظرية ما بعد الكولونيالية، فهم أصحاب جهود بالغة في هذا المجال.

المجلد: (14) العدد: (01) السنة: 2022 صفحات المقال: 208-221 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

يعدّ "إدوارد سعيد" من المفكرين الذين ساهموا في تغيير مسارات الفكر التقليدي، وفضح الخطاب الكولونيالي وانتقاد المقولات الغربية الاستعمارية من خلال كتابه "الاستشراق"، وغيره من الكتب التي تعد من صميم الفكر ما بعد الكولونيالي مثل: "الثقافة والإمبريالية"، و"السلطة والسياسة والثقافة"، لكن يظل قصب السبق لكتاب "الاستشراق"، فمن خلاله تم افتتاح حقل الدراسات ما بعد الكولونيالية بشكل رسمي.

أما "هومي بابا" فقد حاولت أعماله استيعاب التجربة الكولونيالية، وخاصة كتابه الهام: "موقع الثقافة"، ففيه نجد نظرية "هومي بابا" في تحليل الخطاب الكولونيالي؛ إذ "حاول مستندا إلى مجموعة معقدة من الأدوات والنظريات النقدية كالتحليل النفسي لدى "لاكان"، والتفكيكية لدى "دريدا " حاول إعادة طرح وخلخلة بعض المسلمات المتعلّقة بمفاهيم مثل القومية والتمثيل والمقاومة" [5]

أما "غياتري سبيفاك" فكانت صاحبة كتابات مهتمة بثقافات عالم ما بعد الكولونيالية؛ إذ ساهمت كتاباتها في بلورة معالم الدرس ما بعد الكولونيالي من خلال نقد أشكال الإمبريالية المعاصرة، ومن خلال التركيز على التاريخ وأهميته في عالم ما بعد الاستعمار.

لقد فتح كلّ من "إدوارد سعيد" و"هومي بابا" و"غياتري سبيفاك" مجال الدراسات ما بعد الكولونيالية، وجعلوها تكتسب طابعا تأسيسيا، ولكن في المقابل ظهرت أسماء أخرى من المفكرين ما بعد الكولونياليين الذين انطلقوا من مقولات "إدوارد سعيد" وغيره، وناقشوا قضايا ما بعد الاستعمار مثل: "أشيل مبامبي"Achille MBEMBE ، و"ديباش شاكرابارتي "Dipesh CHAKRABARTY و"أرجون أبادوري"Arjun APPADURAI، و"بارتا تشاترجي "Partha CHATTERJEE، وكذا "حميد دباشي"،موضوع دراستنا، باعتباره من أبرز المشتغلين الحاليين في حقل الدراسات ما بعد الكولونيالية نظرا لأفكاره الراهنية والمعاصرة، ومن خلال دراساته التي عالج فيها قضايا معاصرة.

ستقوم ورقتنا بإنجاز قراءة في فكر "**حميد دباشي**" من خلال عرض أهم أفكاره ومناقشتها، وسنشتغل على كتابين وهما: "**ما بعد الاستشراق: المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب**" و"**هل يستطيع غير الأوروبي التفكير؟**"، وهما كتابان هامان من خلالهما اتضحت معالم مشروعه الفكري.

المجلد: (14) العدد: (01) السنة: 2022 صفحات المقال: 208-221 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

إننا نتناول هذا المفكر؛ لأنه من خلال عمليه المذكورين أعاد قراءة أفكار منظّري ما بعد الكولونيالية، وخاصة "إدوارد سعيد" و"غياتري سبيفاك" اللذين احتلا مكانا كبيرا في كتاباته، بل وناقش أفكارهما وربطها بسياقات جديدة.

يعتبر "حميد دباشي" من أبرز المثقفين المعاصرين المهتمين بقضايا ما بعد الاستعمار، ومن أعلام النظرية ما بعد الكولونيالية في وقتنا الحالي، وصاحب مسيرة هائلة وباع من الأعمال النقدية والفكرية التي تحدث فيها عن آداب المقاومة، ووسائل التصدي للاستعمار، ومواجهة الإمبريالية كما له أعمال من صميم الدراسات الثقافية والمقارنة التي تبحث في العلاقات بين الآداب والثقافات المختلفة، وتبحث في قضايا مثل: الآخرية والهوية والاختلاف.

سنركز في دراستنا على قراءة في فكر "دباشي" من خلال العملين المذكورين سابقا، وقبل التطرق إلى الكتابين آثرنا أن نخصص حيزا من بحثنا للتعريف ب"حميد دباشي" نظرا لكونه غير متداول، وقليلة جدا هي الدراسات التي تناولت أعماله في الساحة النقدية العربية في حدود علمنا.

3.التعريف بحميد دباشي:

مفكر إيراني، ولد بالأهواز بإيران سنة 1951، يشغل حاليا منصب أستاذ الدراسات الإيرانية والأدب المقارن في جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية. ألقى محاضرات في مختلف الجامعات الأمريكية والعربية والإيرانية، وهو من الأعضاء المؤسّسين ل"معهد الأدب المقارن" والمجتمع، وعضو مؤسّس ل"مركز الدراسات الفلسطينية" بجامعة كولومبيا.

كتب أكثر من اثني عشر كتابا، وكما هائلا من المقالات العلمية تتمحور حول الدراسات ما بعد الكولونيالية والأدب المقارن، والنقد الثقافي، وفلسفة الفن. تُرجمت أعماله إلى مختلف اللغات مثل: العربية، والفرنسية والإنجليزية والألمانية، والعبرية والفارسية، والتركية، ...إلخ.

من أعماله: "ما بعد الاستشراق: المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب"، "هل يمكن لغير الأوروبي التفكير"، "إيران: نهضة أمة"، "الشاهنامة: الملحمة الفارسية باعتبارها أدبا عالميا"، "المثقف المسلم الأخير: "حياة جلال الأحمد وإرثه" وهذا آخر أعماله، فقد صدر سنة2021.

المجلد: (14) العدد: (01) السنة: 2022 صفحات المقال: 208-221 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

4. كتاب "ما بعد الاستشراق":

يمثّل هذا الكتاب خلاصة فكر "حميد دباشي"، فهو عبارة عن مجموعة من المقالات تعكس رؤيته التي يوضّحها في مقدمة عمله قائلا: "غايتي الأبعد في هذا الكتاب هي توضيح المقدمة النظرية لقوة التمثيل الذاتي Agency المتمرّد في التابع Subaltern المستعمَر والخاضع للسيطرة"[6]

عرض "دباشي" في عمله فكر أعلام النظرية ما بعد الكولونيالية مثل "إدوارد سعيد" و"غياتري سبيفاك"؛ بل وناقش أفكارهم، وكانت البداية مع "إدوارد سعيد" الذي يحتل حيزا كبيرا من اهتماماته في هذا الكتاب لأن هذه الدراسة موسومة "ما بعد الاستشراق"، المقصود من الاستشراق هنا كتاب "إدوارد سعيد" الصادر سنة 1978، ف"دباشي" هنا يناقش أفكار "إدوارد سعيد" الواردة في كتابه المذكور، ويقترح قراءة أفكاره في سياق معرفي محدّد.

يفتتح "دباشي" كتابه بمقال موسوم: "**في مثقفي المنفى**"، وهنا من خلال التطرق إلى مفهوم المثقف والمنفى فإننا نتحدث عن مفهوم من المفاهيم الأساسية في المشروع الفكري ل"إدوارد سعيد"، ذلك أنه اهتم بالمثقف وأداوره وخاصة مثقف المنفى الذي يعيش منفى مزدوجا، منفى اللغة ومنفى الوطن.

لقد عرض "دباشي" صورة مثقف المنفى؛ وهي "أن تكون مفكرا في وطن لا تنتمي إليه، وهي تحتل مكانة كبرى في المسعى الهادف لغرس التمثيل الذاتي المستقل بشقيه المعياري والأخلاقي.[7]

يمثّل مفهوم المثقف مفهوما جوهريا في هذا العمل ل"دباشي"، وهو مفهوم ذو أهمية بالغة عند المشتغلين في حقل الدراسات الثقافية عموما، فقد حضر مفهوم المثقف بنوعيه: المثقف التقليدي والمثقف العضوي عند المفكر الإيطالي "أنطونيو غرامشي" Antonio GRAMSCI صاحب الآراء المُلهمة والأفكار المشكّلة لخلفية الدراسات مابعد الكولونيالية، كما نجده عند "ميشيل فوكو" الذي طالما تحدّث عن دور المثقف وعلاقته بالسلطة. وقد حظي مفهوم المثقف بالحضور أيضا في فكر "إدوار سعيد" الذي أثار مفهوم "مثقف المنافي" أو "مثقف المنفى".

المجلد: (14) العدد: (01) السنة: 2022 صفحات المقال: 208-221 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

ويواصل "دباشي" قراءته لمفهوم مثقف المنفى كما ورد في كتابات "إدوارد سعيد" على ضوء مقالات مفكرين بارزين أشاروا وتطرقوا إلى مفهوم المثقف، مثل "راسل جاكوبي" JACOBY Russel و"ثيودور أدورونو"Theodor ADORNO، "لعل المنحى الأكثر ثورية في تنظير إدوارد سعيد لحالة مثقف المنفى هو تجريد السياق Decontextualisation من المحاكمة النقدية بحيث لا يمكن الاستعانة بسوسيولوجيا المعرفة لاختلاف العذر للمثقف"[8].

وننتقل إلى مقال ثان ل"دباشي" موسوم: "أنا لست تابعيا"، وفيه حاول جمع "إدوارد سعيد" و"غياتري سبيفاك" في حوارية أكثر دقة معتمدا على الموقع المشترك لكليهما كمنظّرين للمرحلة ما بعد الكولونيالية، ومعتمدا لتكون هذه الحوارية ممكنة [9]

يعرض "دباشي" أهم أفكار "سبيفاك" الواردة في مقالها: "هل بمقدور التابع أن يتكلم"، ويعرض رؤيتها بنوع من الانتقاد قائلا: "بيد أنها بقيت أسيرة انطباعها الزائف كما أن نقدها المابعد كولونيالي للناقد الأوروبي لموضوع السيادة" [10]

ينتقد "إدوارد سعيد" و"سبيفاك" و"راناجيت غوها"Ranajit GUHA ويخضع أفكارهم إلى المساءلة قائلا: "لم يتمكن أي منهم ولا في أشد نزعاته الفكرية إقداما من تجاوز تلك النظرة المتفرّسة التي تلمع في عيني محاورهم الأبيض كيما يحرّروا رؤاهم ويمعنوا النظر فيهم بغية إيجاد مواقع بديلة للحوار، للتغيير وللتمرد أيضا" [11]

رغم أن "حميد دباشي" يقرّ في مختلف أعماله بجهود مؤسّسي النظرية ما بعد الكولونيالية، ويدرك مدى أهمية مقولاته الفكرية ودورها في تقويض الخطاب الكولونيالي، وانتقاد المركزية الغربية إلا أنه يسائلهم في مواضع كثيرة، ويرى في بعض آرائهم ثغورا وقصورا في الرؤية وفي التعامل مع بعض القضايا، وتظل هيمنة شبح الرجل الأبيض الأوروبي الغربي على فكر "إدوارد سعيد" و"غياتري سبيفاك"، وعلى قراءاتهم التاريخية الفكرة الأساسية التي ينتقدها "حميد دباشي"، ويناقشها.

المجلد: (14) العدد: (01) السنة: 2022 صفحات المقال: 208-221 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

ويقول في الفصل المعنون: "**تناضح داخلي، معرفة بلا فاعلية، إمبراطورية بلا هيمنة:**

"هدفي في هذا الفصل أن أمضي وراء نقد إدوارد سعيد للاستشراق على نحو يجابه وسائط إنتاج المعرفة ونشوء نمط من الإمبريالية لا يقوم على الهيمنة المستدامة. غايتي هنا أن أؤلف بين النقد ما بعد الكولونيالي والشق ما بعد استشراقي في نسيج متناغم من جهة إنتاج المعرفة، متحررا من ربقة التحليلات الخطابية كمخطط حرب عصابات رشيق الحركة وشديد الحيوية. أطرح مفهوم التناضح المعرفي كآخر أطوار إنتاج المعرفة المتعلقة بالشرق الأوسط"[12]

نجد في الفصل الموسوم: "تناضح داخلي" مناقشة لفكر "إدوارد سعيد" ولا سيما القضايا التي أثارها في كتابه "الاستشراق"، وينهي كتابه في الخاتمة التي أراد أن يناقش فيها: "وجوب العمل بصفتنا نقاد الحقبة ما بعد الكولونيالية، على تغيير المحاور الذي طالما خضنا معه سجالا طويلا على مدى سنوات طويلة وعاصفة"[13]

"تستمد عملية إحياء التمثيل الأخلاقي والمعياري في النقد ما بعد الكولونيالي أهميتها من الآثار البانية للمرحلة ما بعد الاستشراقية حيث يحمل الأساليب المتباينة والمفلسفة لعملية إنتاج المعرفة [14].

5. كتاب "هل يستطيع غير الأوروبي التفكير"؟:

محطة أخرى من المحطات الفكرية الهامة ل"حميد دباشي"، فهو عمل ناقش فيه الكثير من القضايا المتعلّقة بالمركزية الأوروبية وحقبة ما بعد الاستعمار، وكذا ما يسمى بثورات الربيع العربي. هذا الكتاب يصوغ منظورا جديدا في النظرية ما بعد الكولونيالية، بدأه الكاتب بمقدمة عنونها: هل يقرأ الأوروبيون؟، وخمسة فصول.

يقول "دباشي" أن كتابه هذا يتحدث عن تلك النوعية من التفكير التي يسميها التفكير الذي يتخطى حدود الحالة التي ندعوها: "حقبة ما بعد الاستعمار" يأتي هذا الكتاب بمثابة إعلان استقلال، ليس عن حقبة ما بعد الاستعمار، وحسب، بل عن الحدود المعرفية التي ترتبط بهذه الفترة تاريخيا، والتي استنزفت كليا اليوم" [15].

المجلد: (14) العدد: (01) السنة: 2022 صفحات المقال: 208-221 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

ويؤكد أن حجته المركزية "كانت حجتي المركزية على مدى العقود القليلة الماضية أنّ حالة الاستعمار قد أدت إلى وضع معين، في إنتاج المعرفة، في جميع أنحاء العالم الاستعماري، من آسيا إلى إفريقيا إلى أمريكا اللاتينية، والذي نعرفه اليوم وندرسه في اللحظة التي نسميها ما بعد الاستعمار"[16]

يطرح "حميد دباشي" سؤالا هاما وثوريا مقوّضا للعديد من الأفكار المتداولة من قبيل ما هو الشكل الذي تجاوزنا فيه أسلافنا حقا من خلال الحقبة الاستعمارية وما بعد الاستعمارية، والحداثة وما بعد الحداثة، كما يسعى للتفكير في شؤون الواقع اليومي الهش حتى يتم تجريد الأوروبي من صفاته الأسطورية، ومن بقايا الغطرسة الاستعمارية والإمبريالية. [17]

في هذا الكتاب يتصدى "دباشي" للغرب وللخطاب الاستشراقي المروّج لمجموعة من الكليشيهات والصور النمطية، ويقر ذلك قائلا "أحاول أن أبرهن أن الاستشراق كوسيلة لإنتاج المعرفة ليس أمرا واقعا، وليس مشروعا مغلقا ومكتملا. كان الاستشراق نتاجا لخطة معينة في تاريخ الاستعمار الأوروبي، وإنه كنتيجة لذلك يتغير ويتداعى مع مصير الإمبريالية" [18].

في الفصل الأول، يتحدث عن المفكرين خارج أوروبا والمفكرين كطبقة عاميا، وهنا ينتقد الفلاسفة والمفكرين والأدباء الذين يعتبرهم نتاجا للسلالة الفلسفية الأوروبية، ولم يتمكنوا من الخروج من عباءة الاستشراق في هذا الفصل، وفي الوقت نفسه يسلط الضوء على مفكرين هم خارج نطاق الفلاسفة الأوروبيين " هل تجتمع كوكبة من المفكرين من جنوب آسيا والتي تتجسد في شخصيات بارزة مثل: "آشيز ناندي"، "بارثا تشاترجي"، "غاياتري سبيفاك"، "راناجيت جوها ".....مع بعضها البعض لتشكيل نواة التفكير التي تسمح لها بأن تعي نفسها؟ وهل تستحق هذه الكوكبة من الفلاسفة كلمة التفكير من شأنها أن تؤهل أحدهم كشخص من جنوب آسيا أن يحمل لقب الفيلسوف أو المثقف العمومي"[19]

لم يتوقف "دباشي" عند المفكرين الجنوب آسيويين، بل انتقل إلى إفريقيا أين تحدث عن مفكرين أمثال: "هنري أوديرا أوروركا"، "نجوجي واثيونغو"، "وول سوينكا"، "تشينوا أتشيبي"، "أشيل مبامبي"، هل يستحقون أن نطلق عليهم لقب الفيلسوف، أم المثقف العمومي"[20]

المجلد: (14) العدد: (01) السنة: 2022 صفحات المقال: 208-221 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

يُخضع "دباشي" في هذا السياق مُسلَّمات كثيرة للمساءلة ويُقوّض الكثير من الأفكار الثابتة، فلماذا يتم التعامل مع الفلسفة الأوروبية والأمريكية على أنها فلسفة، أما الفلسفة الإفريقية فهي فلسفة إثنية، نفس الشيء بالنسبة لموسيقى "موزار" MOZART الأوروبي على أنها موسيقى، أما الموسيقى الهندية موسيقى إثنية، فهذه التقسيمات العرقية وليدة فكر استعمري محض.

لقد تحدث "دباشي" عن زخم هائل من المفكرين اللامعين والبارزين في مختلف الثقافات في الثقافة العربية، مثل: "صادق جلال العظم"، "عبد الله العروي"، "عبد الكريم سروجي" و"عزمي بشارة"، في اليابان كوجين كاراتاني Kojin KARATANI، وفي و م أ كورنيل وستCornel WEST، وغيرهم وهؤلاء كلهم لا يندرج فكرهم ضمن تقليد القارئ الأوربي، فيتساءل: "ماذا عن هؤلاء؟ أين يمكن وضع فكرهم؟ هل بإمكانهم ممارسة الفكر؟ وهل ما يفعلونه متصل بالتفكير الفلسفي أيضا"[21]

في هذا الفصل انتقاد كبير من قبل الكاتب للأوروبيين المتّسمين بالنزعة الأوروبية بنوع من التهكم والسخرية، يتهمهم "دباشي" برؤية العالم من وجهة نظرهم الضيقة، وأنهم يحملون بداخلهم الغطرسة الوهمية، فهم يعتقدون أن فلسفتهم الخاصة هي الفلسفة، وأن تفكيرهم الخاص هو التفكير، ولا يعترفون بما هو مختلف عنهم. [22]

أما ما تبقى من فصول من هذا الكتاب فكان عبارة عن مجموعة من المقالات عن قضايا راهنية مرتبطة بالسياسة بشكل كبير، وبالثورات العربي وبالربيع العربي، وقد حلّل مظاهر الهيمنة الإمبريالية والتغلغل والتجذر الاستعماري في الخطابات المختلفة ولا سيما في الإعلام الذي يروّج لصورة نمطية وكليشيهات عن الشعوب العربية وعن الإسلام والشرق عموما.

المجلد: (14) العدد: (01) السنة: 2022 صفحات المقال: 208-221 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

6. خاتمة:

ساهم "حميد دباشي" في تطور الدراسات ما بعد الكولونيالية، فقد انطلق من مقولات "إدوارد سعيد" الذي له قصب السبق ومجال الريادة في هذا المجال، ومن مقولات "غياتري سبيفاك" التي تعدّ من الجيل المؤسّس للدراسات ما بعد الكولونيالية إلا ـــأنه رسم لنفسه طريقا مختلفا لأنه رغم أخذه من أفكارهم وانطلاقه منها إلا أنه ناقشها في مواضع عدة.

كما أنه في كتاباته صاغ منظورا جديدا في النظرية ما بعد الكولونيالية يراعي التحولات الجذرية التي عرفتها مجتمعات ما بعد الاستعمار، ويتجاوز الصورة النمطية التي تحاول الإمبريالية الترويج لها.

7. الهوامش:

1- ينظر: روبنسون دوغلاس: الترجمة والإمبراطورية –نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية- ترجمة: ثائر علي ديب،2009، الطبعة الثانية، سورية- دمشق، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، ص30

2 –الأنجلوفوني: الناطق باللغة الإنجليزية.

3 –ينظر: ويدن كريس: الدراسات الثقافية، ترجمة: هاني حلمي حنفي، ضمن: موسوعة كمبردج في النقد الأدبي، القرن العشرون، المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، مراجعة وإشراف: رضوى عاشور، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة 919، ص237.

4 Alice CHERKI : 2000,Frantz FANON, Portrait, Editions du seuil, Septembre ,p245.

5- موسى فاتن:2005، متع المنفى ومتاعبه في بعض أعمال إدوارد سعيد، مجلة ألف: البلاغة المقارنة، الجامعة الأمريكية القاهرة، العدد25، ص89.

6- دباشي حميد: ما بعد الاستشراق، المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب، ترجمة: باسل عبد الله وطفة، مراجعة وتدقيق: حسام الدين محمد، 2015، الطبعة الأولى، إيطاليا، منشورات المتوسط، ص16.

المجلد: (14) العدد: (01) السنة: 2022 صفحات المقال: 208-221 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

7- ينظر: المرجع نفسه، ص17.

8- المرجع نفسه، ص36.

9- ينظر المرجع نفسه، ص19.

10- المرجع نفسه، ص186.

11- المرجع نفسه، ص200.

12- المرجع نفسه، ص22.

13- المرجع نفسه، ص347

14- المرجع نفسه، ص347

15- حميد دباشي: هل يستطيع غير الأوروبي التفكير، ترجمة: عماد الأحمد، 2016، الطبعة الأولى، إيطاليا، منشورات المتوسط، ص14.

16- المرجع نفسه، ص 17.

17- ينظر المرجع نفسه، ص28.

18- المرجع نفسه، ص29.

19- المرجع نفسه، ص47.

20- المرجع نفسه، ص47.

21- المرجع نفسه، ص48.

22- ينظر المرجع نفسه، ص48.

المجلد: (14) العدد: (01) السنة: 2022 صفحات المقال: 208-221 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

8. قائمة المراجع:

1- دباشي حميد: ما بعد الاستشراق، المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب، ترجمة: باسل عبد الله وطفة، مراجعة وتدقيق: حسام الدين محمد، 2015، الطبعة الأولى، إيطاليا، منشورات المتوسط.

2- دباشي حميد: هل يستطيع غير الأوروبي التفكير، ترجمة: عماد الأحمد، 2016، الطبعة الأولى، إيطاليا، منشورات المتوسط.

3- روبنسون دوغلاس: الترجمة والإمبراطورية –نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية– ترجمة: ثائر علي ديب،2009، الطبعة الثانية، سورية– دمشق، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع.

4- موسى فاتن: 2005، متع المنفى ومتاعبه في بعض أعمال إدوارد سعيد، مجلة ألف: البلاغة المقارنة، الجامعة الأمريكية القاهرة، العدد25.

5- ويدن كريس: الدراسات الثقافية، ترجمة: هاني حلمي حنفي، ضمن: موسوعة كمبردج في النقد الأدبي، القرن العشرون، المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، مراجعة وإشراف: رضوى عاشور، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة 919.

6- Alice CHERKI : 2000,Frantz FANON, Portrait, Editions du seuil.